Coptology

التسليم الرسولي للقديس بولس الرسول كما شرحه القديس أثناسيوس الرسولي

دراسة موجزة للمقالات ضد الأريوسيين

(٢)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

الأريوسية والأرثوذكسية

في المقالة الثانية ضد الأريوسيين

بالنظر إلى اهتمام القديس أثناسيوس بشرح مركزية أُلوهية الرب والمخلص، ربنا يسوع المسيح، نجد أنه لم يكتفِ بالرد على ادعاءات الأريوسيين، بل شرح الإيمان الرسولي كعادته بدقة ورصانة.

شرح عب ٣ :٢ "كونه أميناً للذي أقامه":

هذه هي دقة الرسولي: "الكلمات لا تحدد طبيعة الأشياء، بل الأشياء لها طبيعة تحدد معنى الكلمة، لأن الكلمات لا تسبق وجود أو جوهر الأشياء، بل الوجود وجوهر الأشياء يسبق الكلمات" (٥: ٣). هذا **مبدأٌ هام للإفراز والتمييز بين حقائق الوجود**: الكلمات أو الألفاظ تُقال عما هو كائن فعلاً، وطبيعة ما هو كائن هي التي تحدد معنى اللفظ.

كان العبث بالكلمات التي نُزِعت من السياق العام من أسفار العهدين القديم والجديد، هو شغل الأريوسية الشاغل الذي يتم به خداع السُّذَّج. الكلام دائماً سهل، ولكن هل يحتوي الكلام على حقائق، أم ينطوي على خداع؟

لذلك، قدَّم الرسولي عدة أمثلة عن سارة التي كانت تدعو ابراهيم سيداً، رغم أنها لم تكن عبدةً (١بطرس ٣: ٦)، فالاسم الذي يُطلق من قبيل الإكرام، لا يحدد طبيعة المتكلم.

فَصَلَت الأريوسية بين الكلمات وحقائق ما هو كائن لكي تستطيع أن تهدم أُلوهية الرب باستخدام ما قِيل عن تجسده وحضوره المتجسد (راجع ٢: ١٠-٢٣ — ٢: ٥٥ — ٢: ٦٧) على أنه عن أُلوهيته. ولما كانت بنوة الابن للآب هي طبيعة الابن، فلا يجوز تعدي هذه الحقيقة بالعودة إلى تدبير تجسد الابن وإنكار أزليته، لأنه "صار جسداً".

ما معنى أنه صار أميناً؟

كلمة "أمين" حسب شرح الرسولي لها معنيان في الأسفار: المعنى الأول أنه "مؤمن" والثاني أنه "أمين". المعنى الأول يُناسِب البشر، والثاني يُناسِب الله. فإبراهيم "مؤمنٌ" منذ أن آمن بالله، أما الله، فهو "أمينٌ" حسبما رنَّم داود: "أمينٌ هو الرب في أقواله" (مز ١٤٤: ٣ س) (٢: ٦).

المسيح رسولٌ ورئيسُ كهنة:

يسال أثناسيوس الرسولي: "متى صار رسولاً؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا؟ إلا عندما بذل ذاته لأجلنا، وعندما أقام الجسد من بين الأموات .." (٢: ٧).

فكل الذين يتقدَّمون إلى الآب بالإيمان "يقدمهم يسوع إلى الآب، بعد أن يحررهم مكفراً عنهم جميعاً أمام الله (عب ٢: ٧)" (٢: ٧). صار الرب رئيس كهنة "عندما أراد الرب أن تقدَّم الفدية لأجل الجميع، وأن تعطى النعمةَ للكل .. فأخذ جسداً من الأرض، من مريم أُما حسب الجسد، كما من أرضٍ بكر حتى يكون له كرئيس كهنة شيءٌ يقدمه، فهو يقدِّم نفسه للآب ويطهرنا جميعاً من الخطايا بدم نفسه، ويقيمنا من الأموات" (٢: ٧). وهنا أرجو أن يكون القارئ على وعي بتعدد أعمال الرب يسوع في تحرير الإنسان:

١- قدَّم نفسه للآب.

٢- طهَّرنا بدمه.

٣- أقامنا من الأموات.

فتقديم الكاهن يسوع لنفسه للآب، هو واحدٌ من الجوانب المتعددة والمتنوعة لعمل الرب الواحد ربنا يسوع المسيح. فقد شابهنا وصار كواحد منا (عب ٢: ١٤ - ١٨).

ويُكمل الرسولي الشرح في الفقرة التاسعة:

١- لبس جسدنا نحن .. فصار له أخوة.

٢- بذل ذاته بذاته، وليس بواسطة آخر نال سلطاناً عليه.

٣- لذلك دُعي "رئيس كهنة" ودُعي رحيماً وأميناً.

٤- دُعي "رحيماً" لأنه رحمنا إذ بذل ذاته عنا.

٥- دُعي أميناً، ليس لأنه يحتاج إلى الإيمان .. بل لأنه قدَّم ذبيحةً أمينةً أبدية لا تزول.

هكذا، فإن بذل للابن لذاته، جعل الذبيحة "**تقدَّم كل يوم**" (٢: ٩)، وهذه إشارة واضحة للقداس اليومي في زمن الرسول، وظلَّت **ذبيحة الرب "باقية على الدوام"**.

من هذه الكلمات، وتلك التي جاءت بعد ذلك مباشرةً، ندرك أن الرب له "كهنوت ثابت لا يزول" حسب (عب ٧: ٢٤)، وهو "أميناً حسب الوعد لكي يستجيب لأولئك الذين يقتربون إليه" (٢: ٩).

الكهنوت الأبدي للرب يسوع:

الربُّ كاهنٌ إلى الأبد "غير متغير .. بل كما كتب الرسول "أمينٌ هو الذي يدعوكم .." (تسا ٥: ٢٤). التجسد كان إقامة الرب كاهناً، إذ صار حضوره المتجسد (٢: ١٠)، هو ممارسة ذلك الكهنوت الذي جعله "الأخ" لنا والذي بسبب تجسده تقدَّس الجسد" (٢: ١٠).

كيف وُصِفَ التجسد بأنه خلق؟

احتج الأريوسيون بكلمات (أمثال ٨: ٢٢) "الرب خلقني أول طرقه لأجل أعماله (لأجل الخليقة)". ولم يصرف الرسولي وقتاً لكي يجادل حول استخدام الفعل "خلق" والفعل الآخر "قنى" "الرب قناني"، فالاقتناء هو عمل الحكمة؛ لأن نفس السفر (أمثال ١: ١) يتكلم عن "الحكمة بَنَت لنفسها بيتاً"، وما هو بيت الحكمة؟ يشرح الرسولي: "**بيت الحكمة** هو جسدنا الذي اتخذه الكلمة عندما صار إنساناً (٢: ٤٤). ولفظ "خلق" أو "قنى" خاصٌّ بتجسد الكلمة.

الخلق لا يمس جوهر الكلمة، بل يعلن تجسده (٢: ٤٦). "وعندما يقول الرسول بولس إننا نُخلق من جديد في الرب، فهو لا يقصد كينونة شخصين معاً، ولم يكن يوحي بأن نلبس إنساناً آخر، ولكنه كان يقصد الحياة الجديدة للإنسان حسب الله" (٢: ٤٦). "العمل الإلهي هو لأجل البشر" (٢: ٤٧). ولذلك، حسب رسالة العبرانيين "هيأت لي جسداً" (عب ١٠: ٥)، وعبارة "الكلمة صار جسداً" لا تعني تحول الكلمة إلى جسد، بل لَبَسَ الكلمةُ جسداً وصار إنساناً" (٢: ٤٧). وعلى نفس القياس صار المسيح لعنةً، تعني أنه "احتمل اللعنة التي كانت علينا وافتدانا من اللعنة. وحمل خطايانا في جسده على الصليب (١بط ٢: ٢٤)، إنما تعني نقلها، ولم يعد لها وجود في العلاقة بين الله والإنسانية. هكذا "الله خلقه لأجلنا وهيَّأ له جسداً مخلوقاً لأجلنا .. لكي نستطيع أن نُجدَّد ونؤلَّه" (٢: ٤٧). ويقدم الرسولي تشبيهاً بليغاً، وهو أن أي مدينة كلها

مصنوعة، ولا يوجد جزءٌ في المدينة صانعاً وجزءٌ آخر مصنوعاً، بل المدينة كلها مصنوعة (مخلوقة) (٢: ٤٧). وعلى نفس القياس، خُلق الرب لكي يكون أول المخلوقات الجديدة، لأن التجسد هو بداية الخليقة الجديدة (٢: ٤٨).

نحن والرب يسوع:

"نحن بالطبيعة عبيد. نرتفع فوق عبودية الطبيعة بقبولنا روح الابن، لكي ندعو الآب أباً بسبب النعمة. أما الرب، فهو ربٌّ لنا حسب الطبيعة، وكما أننا حينما ندعو الآب رباً والابن رباً، لا ننكر عبوديتنا لهما لأنها عبودية حسب الطبيعة (٢: ٥٠).

ما هو حسب النعمة، لن يتحول لكي يصبح مثل الطبيعة التي وَهَبَت لنا التبني والتألُّه.

وعلى فم الرب يضع الرسولي هذه الكلمات كَرَدٍّ على سبب تجسد الابن ودعوته "مخلوقاً": "إذا سأل أحد من الناس، لماذا تجسدت؟ فإنه سوف يجيب قائلاً: جبلني أبي هكذا، وأعدَّني لأجل أعماله" (٢: ٥٢) لكي يجمع الخليقة ويستردها الآب، ولذلك لبس الرب نفس رداء الجسد، وصار هو الرب ذاته الذي يتكفل بتجديد الخليقة لأنه خُلِقَ، أي تجسد لأجلنا، وجميع الأشياء تُخلق (بالمسيح) من جديد (٢: ٥٣). فقد جاء المخلص إلى العالم .. لكي ينقض أعمال إبليس، وكان هذا هو سبب حضوره المتجسد (٢: ٥٤) جاء الموت بإنسان وبإنسانٍ صارت قيامة الأموات (رو ١كو ١٥: ٢١ – ٢: ٤).

ماذا حقق المخلص؟ (٢: ٥٥).

١- لم يأتِ لأجل ذاته، بل لأجل خلاصنا.

٢- لكي يُبطل الموت.

٣- لكي يُدين الخطية.

٤- لكي يُقيم الجميع من الأموات.

"فإن كان قد أتى، ليس لأجل ذاته، بل لأجلنا، فهو إذن لم يُخلق لأجل ذاته، بل لأجلنا .. لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (٢: ٥٥).

وهكذا يجب أن نفهم أن عبارة قانون الإيمان "مولود غير مخلوق" هي خاصة بلاهوت الله الكلمة.

غاية الخلق الجديد:

"إن لم نُخلق به، فلن يكون هو في داخلنا ولنا" (٢: ٥١)؛ لأن كينونة الرب فينا هي استنارة العقل "ولكي نحصل على فكر حر" كان الانسان عاجزاً عن أن ينال التبني بحسب النعمة، ونوال قوة من الآب لكي يصير ابن الآب؛ لأنه مخلوق، ولم تكن هناك وسيلة أخرى إلا أن يصير الكلمة جسداً، لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبُّل الألوهة (٢: ٥٩). "نحن لسنا أبناء بالطبيعة، أما الذي جاء وسطنا، فهو ابنٌ بالطبيعة، وأيضاً الآب ليس أبانا بالطبيعة لأنه آبُ الكلمة الكائن فينا، والذي به نصرخ: "أبَّا أيها الآب".

الطبيعة والنعمة:

لا أريد أن أخرج خارج دائرة تعليم الرسولي، ولكن من الواضح أن ما هو كائنٌ بحسب الطبيعة، ليس ما هو كائن بحسب النعمة.

* حسب الطبيعة هي الألوهة الحرة من كل ضرورة.

* حسب النعمة هي الإنسانية الجديدة التي نالت حياةً جديدةً ليس مصدرها الإنسان؛ بل الرب الكائن فينا.

الطبيعة التي حررها الابن بدمه:

من الكلمات القوية والواضحة التي تهدم كل ما قيل في العصر الوسيط عن الكفارة والفداء، ما ورد في الفقرتين ٦١ و٦٥ في المقالة الثانية ضد الأريوسيين، وفي هاتين الفقرتين يصبح من المستحيل مصالحة الرسولي مع العصر الوسيط برمته.

فماذا كتب الرسولي عن موت الرب يسوع له المجد؟

١- حينما لبس ما هو مخلوق صار مشابهاً لنا نحن حسب الجسد.

٢- ومن الصواب أن يُدعى أيضاً أخانا وبكرنا.

٣- كل البشر هلكوا بسبب تعدي آدم (٢: ٦١).

بعد هذه المقدمة يكتب الرسولي:

"فإن جسده كان هو أول ما تم خلاصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته".

هكذا صار الربُّ البكر وبداية الخلقة الجديدة، إذ خلَّص جسده من الموت وحرره من الفساد، ولذلك، وحسب كلمات الرسولي نفسه: "وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده، صار لنا خلاصٌ على مثال جسده". فما حدث لناسوت الرب، سوف يتم فينا نحن البشر. وباقي كلمات الرسولي واضحة جداً: "وبهذا الجسد (جسد الرب) صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه نفسه لأنه يقول "أنا هو الطريق" (يوحنا ١٤: ٦) وأنا هو الباب (يوحنا ١٠: ٧). وخلف هذه الأسماء الخاصة بالرب،

كتب الرسولي: "الجميع يحب أن يدخلوا بي"، ولذلك السبب يُدعى البكر من بين الأموات، لا لأنه أول من مات منا، لأننا متنا قبل أن يموت، بل لأنه أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وبذلك أبطل الموت، وصار هو الأول من قام كإنسان، إذ قد أقام جسده لأجلنا، ولأن هذا الجسد (جسد الرب) قد أُقيم، هكذا نحن أيضاً نقوم **من الأموات منه وبه**" (٢: ٦١).

لم نعثر على كلمات مثل هذه في كتابات العصر الوسيط لا قبل العصر الوسيط ولا بعده.

العداء الشديد للقديس أثناسيوس:

أكتب هذه السطور بذات الحزن، بل بذات الوجع الذي باغتني في عام ٧٠-١٩٧١ عندما مُنعت من تدريس كتاب "تجسد الكلمة" في الكلية الإكليريكية. لم أفهم في بداية الأمر سبب المنع، ولكن ظهرت حقائق غريبة:

١- دفع ثمن خطايا البشر بموت الرب على الصليب.

٢- عقوبة الموت وقعت على الرب نفسه.

وحاولت الحوار، ولكن الحوار تعذَّر. لم تكن المقالات ضد الأريوسيين قد نُشرت كاملة باللغة العربية، ولم يكن طلبة القسم النهاري يعرفون الإنجليزية أو اليونانية بالقدر الذي يمكِّنهم من العودة إلى الأصل .. وتمر سنوات والعداء ينمو ولا زال كامناً في فكر وكراهية المدافعين عن "البديل العقابي"، وكأن بابا الإسكندرية الرسولي والعظيم لا وجود له .. وكم أصابني من مضايقات وشتائم بسبب الرسولي.

أثناسيوس الرسولي بعيدٌ عن اللاهوت الغربي والقبطي المعاصر:

في الفقرة ٦٨ تظهر هذه الحقيقة التي لا يراد لها الظهور، فقد كتب الرسولي هذه

الكلمات حسب تسلسل فكره:

١- المسيح يعتبر بدايةً بسبب القيامة من الأموات.

٢- الوجود الجسدي خاصٌّ بالكلمات: "الرب خلقني أول طرقه".

والخلاصة:

١- هكذا خُلِق المخلص حسب الجسد، وصار أول الذين خُلقوا من جديد.

٢- واتخذ باكورتنا من هذا الجسد البشري الذي لبسه (٢: ٦٦).

الاتحاد بالله:

لقد قدم المسيح الرب ذاته لأجلنا. الدم هو حياة الكائن البشري (لاويين ١٧: ١١)، وهنا بالذات إزاء ما كتب الرسولي وكأنه يدرك العبث الآتي:

١- لو أن الله قال كلمة واحدة -لأنه قادر على ذلك- وأبطل اللعنة، لظهرت قوة الله الذي أعطى الأمر.

٢- ولكن الإنسان كان سيظل كما كان آدم قبل العصيان (قابلاً للموت)؛ لأن النعمة ستكون من خارج الكيان الإنساني، دون أن تكون في الجسد، ودون أن تتحد بالجسد.

٣- بل في أحسن الأحوال، كانت حالته أسوأ مما كان في الجنة؛ لأنه تعلَّم العصيان.

٤- وكان البشر المستعبدين للخطية تحت الدينونة.

ثم ينتقل الرسولي إلى الخلاصة.

١- لو كان الابن مخلوقاً، لظل الإنسان مائتاً كما كان قبلاً حيث أنه لم يتحد بالله.

٢- إذ لا يستطيع مخلوقٌ أن يوحِّد المخلوقات مع الله (٢: ٦٩).

لكن

٣- أرسل الله ابنه، وصار ابن الإنسان؛ لأنه اتخذ الجسد المخلوق.

٤- وحيث أن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفاً عن الجميع، فقد قدَّم جسده الخاص للموت لأجل الجميع.

٥- إذن الجميع قد ماتوا في المسيح عندما تم حكم الموت. وهكذا صار الجميع أحراراً من الخطية واللعنة الناتجة في الخطية، وبقى الجميع دائماً قائمين من الموت ولابسين عدم الفساد.

٦- وصرنا متحدين مع الكلمة، ولأننا متحدون مع الله، فلن نمكث طويلاً على الأرض (راجع يوحنا ١٤: ٢٣).

تألُّه ناسوت الرب يسوع:

"لبس الجسد المخلوق، لكن بعد أن يجدده كخالق، فإنه يؤهِّله في نفسه، وهكذا يُدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته؛ لأن الإنسان لن يتألَّه لو أنه اتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهاً حقيقياً (٢: ٧٠).

إن الحرب التي شُنت عن جهلٍ وعناد ضد التأله، كانت ولا تزال عالقة في أذهان الذين يحاربون لاهوت الإسكندرية لأن جوهر التألُّه هو الاتحاد بالله حسب كلمات الرسولي: "لم يكن للإنسان أن يؤلَّه لو لم الكلمة الذي صار جسداً هو ابنٌ من

طبيعة الآب ومن ذات الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشري بالطبيعة بهذا الذي له طبيعة الألوهة، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكَّداً" (٢: ٧٠).

الخلاص ليس مجرد أقوال، ولا هو تصور عقلي:

إذا رجعنا إلى فقرة ٦٥ وجدنا كلمات الرسولي تصدم بقوة كل لاهوت العصر الوسيط، ونكتشف أن دم المسيح هو الذي فدى الباكورة، أي يسوع المسيح ربنا نفسه.

حسب كلمات الرسولي: "كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه" (٢: ٦٥).

الحياة الجديدة لم تكن بكلمة أو بإرادة فقط، بل كانت هي العمل العظيم الذي بدأ في المسيح يسوع ربنا. وعن هذا كتب الرسولي: "إن كان كل شيء قد صار خليقةً جديدةً، كان من الضروري أن يكون هناك شخصٌ هو أول هذه الخليقة" (٢: ٦٥).

فقد فدى المسيحُ الإنسانيةَ بدمه، والمسيح هو "بدء الخليقة" (٢: ٦٥). كان الإنسان "ينقصه الخلود، وكان هذا هو الدَّين الذي علينا لأننا تركنا صورة الله "فالإنسان كان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس" (٢: ٦٦). ونرجو من القراء دراسة بقية (الفقرة ٦٦).

+ + +